

الخطر الفاشستي

والصراع بين الفاشستية والامبراطورية البريطانية

لباحث دبلوماسي كبير

انتهت أعمال القرصنة الإيطالية في الحبشة إلى نتيجة لم يتوقعها كثيرون من رجال الحرب والسياسة ؛ فقد انتهت بانهيار قوى الحبشة بسرعة ، وسقوط قواعدها في يد العدو الغير بلا مقاومة ، ومثول عاهلها الامبراطور إلى الخارج ، تاركا ملكه ووطنه وأمتة إلى مصائر مجهولة . واستطاع موسوليني زعيم الفاشستية المتدنية أن يعلن خلال مناظر مسرحية ضم الحبشة لإيطاليا وتعيين ملك إيطاليا امبراطورا للحبشة

ومن المبعث أن نحاول التحدث هنا عن أسباب انهيار المقاومة الحبشية بتلك السرعة المدهشة بعد أن استطاعت أن تصمد في وجه العدو أشهراً ، وأن تقف زحفه سواء في الشمال أو الجنوب حتى شهر مارس الماضي ؛ ولكن المحقق أن هذا التطور الفجائي في أقدار الحرب يرجع قبل كل شيء إلى التجاء الإيطاليين ، بعد أن عجزوا عن التغلب بوسائل الحرب الشريرة إلى استعمال وسائل الحرب المحرمة كالتنازات القاتلة وغيرها ؛ وهكذا استطاعوا بتلك الوسائل المجرمة أن يمزقوا صفوف الأجناس ، وأن يلقوا الروح في نفس الشعب الحبشي بأسره ، هذا إلى ما يذاع من أنهم استطاعوا أن ييشوا بالرشوة والاعراء كثيرا من أسباب الشقاق بين مختلف الرؤوس والزعماء

على أن هذا النصر الثير الملوث بأدران الجريمة ، والذي يعتبر بحق قرصنة استعمارية عمضة ، لم يمنع الفاشستية الإيطالية من أن تزفه إلى العالم نصرا رومانيا للحضارة والسيحية التمدنية ، على بلاد همجية تنوق إلى الانضواء تحت السيادة الإيطالية الظلمة ، والأخذ بأسباب الحضارة الإيطالية الراهرة ؛ ولم يمنع زعيم الفاشستية من أن ينوه بأسلوبه المسرحي بمظمة هذا النصر الفاشستي ، وبأنه عنوان ساطع لقوة إيطاليا الفتية ، وأن يتوعد

أوروبا والعالم كله بأنه على استعداد لأن يسحق أية قوة أو دولة تحاول أن تقف في سبيله أو تحاول أن تحمرمه من ثمار ظفره

ولو عيد موسوليني مغزاه ؛ ذلك أن إيطاليا تستقر الآن في الحبشة بقوة الفتح فقط ، ولكن هذه الحقيقة الواقعة لا يمكن أن تعتبر حلاً نهائياً للمسألة الحبشية ، وإنما تنتقل المسألة الحبشية الآن من ميدان الحرب إلى ميدان الحوادث الدولية والصراع الاستعماري . ولنذكر دائماً أن ما أبدته عصبة الأمم من إقدام في الحكم على إيطاليا بالاعتداء وتوقيع المعقوبات الاقتصادية عليها يرجع قبل كل شيء إلى تدخل انكلترا ونفوذها ؛ وانكلترا لم تتدخل ولم تعمل لتنظيم هذه الحركة الدولية تأييداً ليثاق العصبة ومبدأ السلامة المشتركة فقط ، ولكن لأن الانتصار الفاشستي في الحبشة يهدد صرح الامبراطورية البريطانية ومصالحها الحيوية بأعظم الأخطار

وقد عقدت الآمال من قبل على تدخل العصبة وجهودها ؛ وما زالت العصبة على موقفها من استنكار عمل إيطاليا وتأيد المعقوبات الاقتصادية المفروضة عليها ؛ وربما اتخذت اجراءات أخرى في هذا السبيل في اجتماعها الذي سيعقد في الخامس عشر من يونيو ؛ ولكننا نستطيع منذ الآن أن نضرب صفحاً عن الدور الذي يمكن أن تؤديه العصبة في حل انشكلة الحبشية بعد أن انهار تدخلها ، ولم تستطع أن تنفذ كل ما يقضى به ميثاقها للتوسل إلى ارغام المعتدي على وقف الاعتداء

والآن ينكشف النضال واضحاً عن معركة دولية ذات وجهين : أحدها قد اتخذ حتى اليوم ستاراً للآخر ؛ فأما الوجه الأول فهو مبدأ السلامة المشتركة طبقاً ليثاق عصبة الأمم ، وهو المبدأ الذي انتهكته إيطاليا بنزوح الحبشة ، وحاولت العصبة تأييده بفرض المعقوبات ؛ فالتدول الصغرى من أعضاء العصبة تتساءل اليوم ، هل في وسعها أن تعتمد في سلامتها الخاصة على تطبيق هذا المبدأ بعد الفشل الذي لحق العصبة في وقف الاعتداء الإيطالي ؛ أم هل يجب عليها أن تبحث عن وسائل عملية أخرى كمقد الموائيق الحلية لتأمين سلامتها ؛ إن ما ارتكبهت إيطاليا في الحبشة يمكن أن ترتكبه غداً في تركيا ، أو في اليونان ، ويمكن أن ترتكبه ألمانيا في النمسا أو هولنده أو اتوانيا ، ويمكن على وجه العموم أن ترتكبه أية دولة قوية ضد أية دولة ضعيفة دون أن تجد وازعماً كافياً لوقف

مؤقتة لا تلبث أن تزول فتشعر هذه الأمم بنفس الشعور الذي يشيره ظهور عسكرية جديدة جامعة تحترم المهود والمواثيق الدولية وتجمل شعارها القوة الناشئة دون غيرها

وأماننا التاريخ الأوربي الحديث ، يمدد نفسه دائماً ؛ وفي رأينا أنه سيميد نفسه في القريب العاجل مرة أخرى

ذلك أن أوروبا ، وانكلترا بنوع خاص ، لم تتسامح قط في أمر المسكرات القوية المتدبة ؛ ولم تهض في أوروبا أية عسكرية قوية طامحة ، خلال القرون الأربعة الأخيرة ، إلا انجتمت أوروبا على مقاومتها وسحقها

وقد كانت العسكرية البروسية آخر عسكرية من هذا النوع ، لقيت مصرعها في الحرب الكبرى

ومنذ القرن السادس عشر يعد التاريخ الأوربي الحديث نفسه في هذا الميدان بصورة واضحة ؛ في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، كانت العسكرية التركية بحول ظافرة في جنوب شرق أوروبا وأواسطها حتى حدود بولونيا ، وقد اجتاحت حوض الدانوب حتى أسوار فينا ، وحاصرت العاصمة النمساوية مرتين ، فزالا أوروبا حتى حطمت هذه النهضة العسكرية الخطرة في البر والبحر ، وردتها الى ما وراء الدانوب ، وحرمتها من كل ثمار ظفرها ؛ وفي القرن السابع عشر ، قام لويس الرابع عشر يهدد سلام أوروبا الغربية بأطباعه ومغامراته العسكرية ، فما زالت الدول الخمسة وفي مقدمتها انكلترا والنمسا حتى سحقت قواه العسكرية ، بمد سلسلة من الحروب الطامحة ؛ وفي أوائل القرن الثامن عشر كان كارل الثاني عشر ملك السويد يجتاح بجيوشه ضفاف البلطيق وغرب روسيا ، ويهدد التوازن الأوربي في شرق أوروبا ، فما زالت روسيا حتى سحقت مشاريعه وقواه

وربما كان أعظم مثل في التاريخ الحديث لذلك الصراع الخالد في سبيل التوازن الأوربي ، وسحق المسكرات الجامحة ، مثل نابليون بونابرت ؛ فقد ظل هذا الجندي العظيم الطامح يقود جيوشه الظافرة في جنات أوروبا مدى عشرين عاماً ، ويسيطر سيادته على معظم الدول الغربية والوسطى ، ويعمل بكل ما وسع لتحطيم سيادة انكلترا في البحر الأبيض ؛ ولكن انكلترا لبثت تطاوله وتصارعه وتؤلب عليه الدول الخمسة ، حتى انتهت بسحقه وتحطيم ذلك الطغيان المسكري الشامل الذي بسطته

عدوانها ؛ فأنصار عصبة الأمم يرون في هذا الطور الحاسم من تاريخ العصبة أن لا أمل في نجاح مبدأ السلامة المشتركة ما لم يعدل دستور العصبة في هذا الشأن تمديلاً وافياً ، وتنظم المقويات الاقتصادية والمسكربة التي تطبقها العصبة على المدى تنظيمياً يكفل أثرها في وقف الاعتداء الملاح بسرعة ؛ وخصوم العصبة يرون أن التجربة الحبشية كانت حاسمة ، فعلى عصبة الأمم أن تملن افلاسها ، وعلى الدول أن تعتمد على وسائلها الخاصة للدفاع عن نفسها ؛ وتقف الدول الصغرى فيما بين ذلك حيرى ، ولكنها تعمل من جهة أخرى على تنظيم وسائل الدفاع عن نفسها جهه استطاع

وأما الوجه الثاني من هذه الحركة الدولية ، فهو نشوب النضال بين قوة عسكرية جديدة طامحة ، هي الفاشستية الايطالية ، وبين امبراطورية استعمارية عديدة ، هي الامبراطورية البريطانية ؛ ولم يكن خافياً منذ البداية أن نشاط السياسة البريطانية في توجيه عصبة الأمم إنما هو مرحلة فقط من مراحل النضال الحقيقي ؛ والآن وقد انتهت هذه الرحلة بظفر العسكرية الفاشستية ، وهزيمة السياسة البريطانية ، فإن النضال يوشك أن يدخل طوره الثاني ؛ وقد أدركت بريطانيا العظمى منذ البداية ما تهدد به تلك الفاشستية المضطربة الطامحة ، سيادتها في البحر الأبيض ، وما يهدد به ظفرها في الحبشة سياستها في وادي النيل وشرق أفريقية ؛ وسيادة الامبراطورية البريطانية ومواصلاتها ، صرح لا يتجزأ ، وأنى صدع يصيبها يمرض البناء كله للخطر ؛ ولم تحف الفاشستية ولا سيما منذ ظفرها في الحبشة ، أنها تداعب حلاً امبراطورياً سخماً ، وما تقي زعيمها يتحدث عن احياء الامبراطورية الرومانية ؛ وليس من ريب في أن السياسة البريطانية ترى في هذه العسكرية الطامحة التجنيزية ، المتمددة بقوتها ، الممتدة بظفرها ، خطراً عظيماً على كيان صرحها الامبراطوري ، ترمع سحقه بأي الوسائل

— ٢ —

وليت انكلترا وحدها هي التي تستشعر ذلك الخطر المسكري الجديد الذي تهب ريمه على أمم البحر الأبيض بنوع خاص ، بل إن أمم أوروبا كلها تستشعر به وتحشى تفاقه ؛ وإذا كانت تحت دول مثل فرنسا وألمانيا والنمسا تنظر إلى نهوض الفاشستية بعين الاغضاء ، وربما بعين الرضى ، فذلك لظروف خاصة

امتزاج الاحاسيس للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال المتنبي :

والذل يظهر في الدليل مودة وأود منه لن يود الأرقم
وأحسب أن المتنبي إنما أراد أن يصف الدليل المداحي الذي
يظهر المودة ويخفي الضغينة والمداء ، فيتودد ويتذلل حتى ينال
من خصمه . وهذه صفة شائمة في ذوى الكيد والمكر والدهاء .
ولكن هناك صفة أخرى في النفس الانسانية تشبه هذه الصفة
بعض الشيء ، وهى صفة المحبة والمودة التى يحسبها الخائف إحساساً
حقيقياً لا مداجاة فيه إذا عجز عن يخاف منه وألف الخوف
فأزالت ألفة الخوف غلواءه ، وأزالت الرغبة فى التخلص منه ،
وأبعدت هى والمعجز أمل الانتقام من أجله ، فتحول ارادة المحافظة
على الحياة ذلك الخوف المألوف محبة أو مودة تحاول بها نيل الزانى
لدى الانسان الخوف من طريق الاحساس الصادق بالمحبة أو المودة ،
وتحاول أن تسل بها من قدرة الخوف حمة البغض وسم الضغينة ،
لأن ارادة المحافظة على الحياة تعلم أن مودة الرياء ومحبة النفاق قد
لا تقنع ، وقد تنكشف ويشف ثوب الرياء عما تحته فينال الخائف
المرأى شراً إذا انكشفت مداجاة وعرفت مداهنته ، ومن أجل
ذلك تبالغ ارادة المحافظة على الحياة فى الحيلة والحذر ، فتحول
الخوف من الانسان الخوف الى حب له أو مودة كى تقننه وتبقى
بوادر شره ، وهى أيضاً تحاول أن تقنع بتلك المودة نفس من يحسبها ،
وتفهمها أن لا داعى لليأس من الحياة كى لا يرهقها الخوف
والياس ؛ وهذا أمر مشاهد إذا قرأ الانسان سفر الحياة
وتقصى البحث فى تكوين النفوس

وهذه المحبة قد تزول وقد تبقى بعد زوال أسباب الخوف ،
وقد تقوى أو اصرها بعد الرهبة ولا سببا إذا حلت الرغبة مكان
الرهبة ، ووجدت النفس منفعة دنيوية أو نفسية لها عند من
زالت أسباب الخوف منه ؛ وقد تنقلب تلك المحبة إذا زالت
أسباب الخوف مقتاً ورغبة فى الانتقام ، فيحسبها الباحث أنها
لم تكن إلا مداهنة ونفاقا ، وهى قد تكون ذلك ، وقد تكون
كما شرحنا محض المودة والشعور الصادق بها ، لأن احساسات

الامبراطورية على أوروبا زهاء عشرة أعوام
وقد رأينا كيف اجتمعت أوروبا الغربية ، وفى مقدمتها
انكلترا ، أثناء الحرب الكبرى ، لتحطيم العسكرية البروسية ،
التى وثبت تهديد العالم بأطاعها الجائشة فى السيادة والاستعمار ،
وكيف لقيت مصرعها بعد حرب كانت أروع ما شهد التاريخ
والآن يبدو الخطر الفاشستى فى الأفق ، وتتذر العسكرية
الفاشستية الجائعة بتحطيم التوازن الأوروبى فى شرق أوروبا وفى
وسطها ، وتتحدى بالأخص سيادة انكلترا البحرية فى البحر
الأبيض ؛ وقد زادها انتصارها فى الحبشة زهواً ومجداً ، فهل
تصبر أوروبا ، وهل تصبر انكلترا بنوع خاص حتى يتفاقم الخطر
الفاشستى كما تفاقم الخطر البروسى قبيل الحرب ؟ هذا ما لا نعتقد ،
وفى يقيننا أن الامبراطورية البريطانية تناهب لحوض ذلك
الصراع التقليدى الذى حرصت دائماً على خوضه لتحطيم ذلك
الظلمان المسكرى الجديد الذى يهدد سيادتها ومصالحها الحيوية
فى البحر الأبيض وفى شرق أفريقيا ، وإذا كانت السياسة
البريطانية ما زالت تبدي بعض الفتور والتردد فى العمل الحاسم
فذلك لأن نصاير الحرب والتسلحات الحديثة قد اتخذت وجهة
جديدة ، ولم تعد السيادة البحرية وحدها كافية لأن تملى بريطانيا
كلتها ؛ ومن تقاليد بريطانيا الماثورة أنها لا تمجّل الحوادث ،
ولا تسارع الى قبول التحدى الطائش ؛ وبريطانيا ترن اليوم
أقدار الحرب والتضال بميزان جديد لم تستقر عوامله بعد ؛ وقد
يمضى وقت آخر قبل أن تنزل بريطانيا الى ميدان العمل الحاسم
قد تستطيع الفاشستية الجائعة فى نشوة ظفرها المزعوم ، أن
ترزعج أوروبا وانكلترا ، مدى حين بمشاريعها ووعداتها ؛ ولكن
الفاشستية تخطئ بلاريب إذا هى اعتقدت أن الظفر ميسور فى
ميادين أخرى غير الحبشة ، وأنها تستطيع فى مكان آخر من
أوروبا ، أو افريقية ، أن تستعمل وسائلها العسكرية المجرمة فى
تحقيق أحلامها الرومانية ، دون عقاب أو وازع ؛ وهنالك حقيقة
لا ريب فيها ، وهى أن الفاشستية قد بثت بمسلكها وغرورها
ووعداتها مخاوف ما كان اغناها عن بنها ، وأنها سترغم بلاريب ،
فى القريب العاجل ، على خوض الصراع الحاسم ؛ وليس من
ريب فى أنها ستسحق فى هذا الصراع ، كما سحق كل عسكرية
أوربية جاعمة من قبلها